

## صورة المرأة المعاصرة في أعمال ليلى العثمان

الدكتور/ جمال الدين الفاروقي

Reader, Dept of Arabic

WMO College, Muttill, Wayanad

إن الأدب العربي المعاصر راخر بالحضور الفعلي من قبل النساء الأديبات، ودورهن لا يقل أهمية من دور فحول الأدياء. وفي طليعتهن طلعة الرفاعي وعزيزة هارون وغادة السمان ونجاح العطار قمر كيلاني وكلهن في سوريا، ولميعة عباس عمارة في العراق وفدوي طوقان في فلسطين وملكة الدار محمد في سودان ونعمات أحمد فؤاد وعائشة عبد الرحمن ووفاء وجدي وهن في مصر، وظبية خميس في الإمارات، وهيام رمزي وفوزية شلابي وهما في ليبيا ويمينة مشاكرة في الجزائر وسعاد عبد الرحمن الولايتي وبزة الباطني وفاطمة يوسف علي وليلى العثمان ومنى الشافعي وثريا البقصي وكلهن في الكويت. وقد مارسن الأدب بمختلف أنواعه قصة وشعرا ورواية ونقدا، وعبرن في خلاله عن مشاعر الأنثى وهمومها وأشواقها في صدق وأمانة بعض هؤلاء الأديبات أثرن السلامة وقصرن فنهن على تصوير واقع المرأة داخل البيت أو في مجال العمل أو العاطفة، أما البعض فقد اتجهن إلى تصوير التحرر العاطفي للمرأة العربية بعد كبت طويل فجاء أديهن صرخة

احتجاج عنيفة ضد كل ما عاناه جنسهن طوال عصور الانحطاط، و تمثل هذا الاتجاه صوفي عبد الله وجاذبية صدقي من مصر وهند سلامة من لبنان وتجيء عادة السمان السورية قمة في هذا الاتجاه. ويبرز دور ليلي عبدالله العثمان في هذا المجال بصورة أكثر حيوية وأعمق تأثيراً.

هي من مواليد الكويت عام ١٩٤٣ ، والدها كان شاعراً وله ديوان بام ديوان العثمان ، له منتدى أدبي كبير. ولم يوفق أن تستكمل دراستها بعد الثانوية، إلا أنها كانت دائمة الاطلاع والقراءة مما صقلت موهبتها وشحذت قريحتها. وظهرت بواكير أعمالها في الصحف المحلية عام ١٩٦٥ ، ثم واصلت خدماتها في مجلة الكويت، وبدأت تكتب في صحيفة القبس الكويتية . كما شغلت منصب أمين سر لرابطة الأدباء الكويتية . وكانت عضواً في عدد من الجمعيات الأدبية مثل: رابطة الأدباء الكويتية ، واتحاد الكتاب العرب، وجمعية الصحفيين الكويتية، و منظمة حقوق الإنسان وغيرها.

وتذكر في سيرتها الذاتية دور جدتها في إيجاد النزعة الأدبية في عاطفتها الطفلة. وهي على حد تعبيرها ، كانت هي رافدي الأول الذي رش مطره على بذار الموهبة المخبوءة التي تلمست حريرها ، وانتظرت إشراقة فجرها، فقد كان إحساسي يؤكد لي أنه ذات يوم سيكون لها وجود رغم الكبت والقهر والحصار . وفي المدرسة سنحت لها الفرصة لقراءة عدد من الأعمال الأدبية لعماقة الأدباء جرجي زيدان والمنفلوطي وجبران ومي زيادة ومحمد عبد الحلیم وغيرهم من الرومانسيين. والمدرسة – في حد تعبيرها – هي الجنة التي رافقت بالطفلة المحرومة من حنان الأبوين واحتضنت الموهبة التي أقاموا الحد عليها في البيت. و المكتبة التي كانت في حوزة والدها هي الأخرى صارت دافعا لها للتحرك في عالم القصص والروايات ، حيث اطلعت على أعمال الأدباء المعاصرين من أمثال يوسف إدريس زكريا تامر يوسف

حبشي، توفيق يوسف عواد ، كما تحمست كثيرا حينما وقفت على أعمال النساء العربيات والأجنبيات مثل غادة السمان سميرة عزام لطيفة الزيات . وقد استلهمت قوتها للحكاية والسرد من أعمال مارغريت ميتشل ( ذهب مع الريح) وأعمال نجيب محفوظ ووصفه للقاهرة ذكرتها عن قريتها

مؤلفاتها:

- ١- امرأة في إناء (قصص) الكويت ١٩٧٦ (ط٢: ١٩٨١).
- ٢- الرحيل (قصص) دار الآداب- بيروت ١٩٧٩ (ط٢: ١٩٨٤).
- ٣- يحدث كل ليلة ( قصص ١٩٧٩
- ٤- في الليل تأتي العيون (قصص)- دار الآداب- بيروت ١٩٨٠
- ٥- الحب له صور (قصص) دار الآداب- بيروت (ط٢: ١٩٨٣).
- ٦- المرأة والقطعة - رواية ١٩٨٥
- ٧- وسمية تخرج من البحر (رواية) الكويت ١٩٨٦.
- ٨- فتحية تختار موتها ( رواية) القاهرة ١٩٨٧.
- ٩- حالة حب مجنونة - قصص ١٩٨٩
- ١٠- حكاية قصيرة - قصص ١٩٩٢
- ١١- الحواجز السوداء -خواطر- ١٩٩٢.
- ١٢-زهرة تدخل الحي - قصص ١٩٩٦
- ١٣-بلا قيود دعوني أتكلم
- ١٤-المحاكمة مقطع من سيرة الواقع
- ١٥-العصص (رواية)
- ١٦-ليلة القهر ( قصص )
- ١٧-أيام في اليمن ( أدب الرحلة )
- ١٨-صمت الفراشات ( رواية )
- ١٩-يوميات الصبر المر

## ٢٠- قصص قصيرة جدا

الموضوع المحوري في كل كتاباتها كما هو واضح من أسماء الكتاب، مشاكل المرأة ومعاناتها والأغلال التي كانت تحبس بها داخل البيت وخارجه. وليس الهدف من إبداعاتها وضع اسمها وشخصيتها في قائمة الروائيين ، بل وأكثر من ذلك ، كانت تنوي إيجاد رؤية أنثوية تجاه المشاكل التي تعاني منها مجتمع المرأة، والتي لا يشير إليها الأعمال الإبداعية من قبل الرجال. وقد تم اختيار روايتها وسمية تخرج من البحر ضمن أجود مائة رواية عربية في القرن الواحد والعشرين. وتتلور أعمالها القصصة والروائية شخصيتها التي تظهر في بوتقة التقاليد العربية المتسمة برائحة الرجل الذكورية ، ذلك الرجل الذي حدد مملكته فترك في كل زاوية من زواياه بقايا امرأة ما ، وهي لا تصالح الواقع لا تراه قدرا ولا تعبده صنما، بل هي تملك كلمتها ولديها من الحرية لما تريد.

وقد عالجت ليلي مختلف الأبعاد الاجتماعية في إبداعها مثل البعد السياسي والوطني والقومي والبعد الحضاري والإبداعي والهموم الفلسطينية ، وأبرزت إعجابها بالمرأة الفلسطينية التي اشتهرت بصمودها أمام الجول والطغيان.

وقد أولت ليلي العثمان بالغ الاهتمام بإبراز الظواهر الثقافية السائدة في المجتمع العربي وكيف تتميز هي عما كانت عليه الحياة القبلية القديمة، حيث تحول من مجتمع بدوي تقليدي ملاحى تجاري إلى مجتمع صناعي رأسمالي استهلاكي. كما أنها تشير في خلال قصصها إلى التفاوت الطبقي في المجتمع حيث يعاني المستضعفون الفقراء من استغلال الأقوياء، ومن هذه الظواهر ترفع أهل اللاد على الوافدين الغرباء. وكل منطقة سكنية لها ميزتها وهي تقول: 'مناطقنا نحن الكويتيين خاملة ، باردة فاقدة العلاقات الإنسانية والروحية ، بينما المناطق الأخرى ، تلك التي يسكنها إخوتنا العرب والأجانب تموج

بالحياة روائح البشر والمطاعم عرق التعب ولذو الصداقات والتقاء الجيران وعلاقات الأطفال'.

هذا إلى جانب اهتمامها بإبراز تأثير العادات والتقاليد على حياة الناس وسلوكهم ومنها اعتماد الناس على الطب الشعبي المتمثل في الشعوذة والسحر، ولا يوجد أثر الإيمان فيهم إلا قليلا، وكذلك بعض العادات المتعفنة في المجتمع مثل انتظار العريس عند عتبة الباب ليلة الدخلة ليخرج بالعلامة التي تؤكد طهارة عروسه. وإذا فقدت المرأة هذه العلامة تنتهي معها حياتها. وهناك ظاهرة خطيرة تعرضت لها ليلي في أثناء سردها للأحداث ، وهي استغلال الزوج لزوجته التي اكتشف عدم غزيرتها ليدفعها إلى أهل الدعارة ليكسب منها المال والثروة ، وتتصدى أيضا لقضايا الخيانة المتبادلة بين الزوجين ، وغالبا ما تكون عواطف الحب سلعة متجربة بين جدران البيوت.

كما أنها تشير إلى قضايا الجنس قي قصصها بجرأة في وصفها للمشاهد الجنسية مما أثار حفيظة رجال الدين وكشفت عما يتستر عليه الجميع مثل الدعارة وغشيان المحارم وممارسات الأقارب وقضية العجز والعقم والجنس المثلي من لواط وسحاق. وتعرضت لقضايا المرأة المتنوعة بكونها: الأم والأخت وزوجة الأب وزوجة الأخ، والإبنة والأخت والخادم، والمرأة الصديقة والسحاقيّة والمناضلة. والمرأة الثائرة والرافضة لحكم الأهل والمدافعة عن الوطن والمبدعة. كذلك تناولت الصور المختلفة للرجل في المجتمع الكويتي.

#### مهارتها في التقنيات الفنية للروايات:

يتميز إبداع ليلي بتعددية الخطاب الأدبي وتدرجها من الرومانسية إلى الواقعية مثلما في 'وسمية تخرج من البحر ورواية المرأة والقطة، وكذلك الخطاب الواقعي الذي تعمد إليها في قصصها "الحوازر السويداء" بشكل خاص، عندما ترصد ظواهر اجتماعية سلبية، ومثل هذه نجدّها في قصص مجموعة

"الرَّحِيل" و "في الليل تأتي العيون" و "فتحية تختار موتها" و "يحدث كل ليلة".  
تتخذُ الخطابَ الرمزي وسيلة لها عندما تغوصُ في أعماق النفس البشرية  
لئيساعدها في سبر أغوار شخصيّة أبطالها، واكتشاف عوالمها الداخلية. كما أنّ  
الكاتبة تهتمُّ بتزاوج الخطابات المختلفة في الكثير من إبداعاتها كما في رواية  
"المرأة والقطة" حيث تداخل الخطابان الرومانسي والواقعي.

وفي رواية وسمية تخرج من البحر ترسم صورة حب ساذج نشأ بين عبد الله  
ووسمية ، الأول من الأسرة الفقيرة التي لا يقيم أحد وزنا، بينما الثانية تنتسب  
إلى أسرة ذات حسب وفضل، وحين صارت التقاليد المرعية بين الأسرة عاتقة  
لانطلاق حبهم الساذج أثرت هي الموت وأسلمت نفسها إلى أمواج البحر.  
وتقول ليلي أنها لم تجد صعوبة في صياغة حالة حب تربط قلب وسمية بقلب  
عبد الله، كما لم يكن صعبا أن أصطاد شخوص الرواية ، فهي نماذج واقعية  
عرفها المجتمع القديم . وأم وسمية زوجة التاجر الكبير تمثل نموذجا نسائيا  
ساد في مجتمع لا تسيطر عليه الروح الطبقية ولا يتعامل بأساليبها رغم  
الفوارق. وشخصية مريوم الدلالة جزء من مجتمع لا يسمح بخروج نساء  
الطبقات العليا ، فتأخذ الدلالة دورها في توفير الحاجيات النسائية لهن. كما  
أنها تمثل همزة وصل بين البيت المغلق والعالم الخارجي ، تنقل أخبار السوق  
وحكاياته وأحداث الأحياء الأخرى وهي نموذج للمرأة المكافحة العاملة في  
زمن كان يغيب فيه الرجل شهورا طويلة في الأسفار بحثا عن الرزق . وقد  
تراكمت لديها وجوه عشرات الصبيان حين تصدت لرسم شخصية عبد الله ،  
وهو جزء من الحياة الساذجة في الأحياء حيث يوجد فيها الاختلاط بين البنات  
والأولاد ، ولا يرى فيه أحد أي بأس، ولكن هذه العلاقة الساذجة توضع تحت  
رقابة الكبار في البيت مثل الأب والأخ والعم مما يسبب الأولاد يفرون بحبهم  
وضميرهم حيث يرون الراحة والروح. وقد نجحت الكاتبة ليلي العثمان في  
توظيف هذا الخوف في روايتها.

كما تبدو هذه التقنيات في روايتها صمت الفراشات حيث نجد الشابة نادية  
مقهورة ومتعرضة للتهريش من قبل شيخ مسن اختاره والدها زوجها لها وهو

في الستين بينما كان هي في العشرين . وجعل الشيخ مقامه خادما له ليقضي معها ليلة الدخلة لأنه كان عنينا. وفرت هي إلى بيت والدها حيث هرع وراءها الشيخ المسن ولكن الوالد لم يسمح له . ورجع الشيخ إلى بيته وصرعا ميئا وصارت هي الوريث الوحيد لأمواله الطائلة. ثم إنها درست وتخرجت بالشهادة الجامعية وتزوجت من ذلك الخادم الذي قام بتهريشها في بيت الشيخ.

كما أن أعمالها القصصية تبدأ بالعقدة لتثير في القارئ حب الاستطلاع حتى يستمر في قراءته كي يعرف ما ذا يحدث فيما بعد، وأما نهاياتها فهي نهايات مغلقة لا تترك مكانا لأسئلة إضافية خاصة في القصص التاريخية والسياسية وبعض القصص الاجتماعية . ولكن قصص الحب والقصص الرمزية التي توصل بها إلى قضايا اجتماعية فيوحد لها نهاية مفتوحة. بالنسبة إلى مفهوم الزمان والمكان فيمكن القول بأنها تنتقي الأماكن من البيئة الشعبية مثل الحارة والحوش والحوطة المدينة ودوار المدينة ، والأماكن العامة مثل المستشفى والعيادة والملهى وقاعة المحاضرات والفندق. وقد بلغت الكاتبة غاية الجودة حين تبدأ من الحاضر ثم ترجع إلى الماضي ، وهذا ظاهرة إبداعية طريفة. وكذلك الحال في قصصها القصيرة، وهي كلها تحمل في طياتها معاني رائعة تقدمها هي في أسلوب رمزي. وهذه القصص من جهة أخرى تبلور موقفها الانتقالي النائر من القضايا الاجتماعية.

